إر ٧: ١-١٥
عظة الهيكل

الأخت لُمَى جحولا
دكتورة في العلوم البيليّة

مقدّمة

نقيض الإيمان عند الأنبياء ليس الشكّ وإنّما الارتداد أو ما يسمّى بـ"العصيان"، لأنّ الإيمان المطلوب ليس فعل موافقة بل التزامًا بالتقليد وبمجموعة تعاليم. ويستند الإيمان النبويّ بوضوح على العهد، لا سيّما عهد سيناء، ويُعَبَّر عن "الإيمان" في الأعمال الإيجابيّة، وليس في الصيغ العقائديّة أو الأعمال العباديّة الخارجيّة كالسجود والعبادة التي لا يرفضها كاتب الكتاب المقدّس العبريّ، لكنّه يصرّ على وجوب أن ترافق بالأعمال[١].

يسعى النبيّ إرميا مع سامعيه إلى فهْم معنى الإيمان، وكيف يجب أن يترجم؛ فالتهمة الرئيسيّة في نبوءة إرميا في الهيكل ليست موجّهة في الواقع ضدّ الإيمان بالهيكل بقدر ما هي ضدّ عصيان الشعب لتعاليم التوراة، وهذا ما نراه بوضوح في إر ٧: ١-١٥، حيث أنّ إرميا لا ينتقد الهيكل والعبادة بحدّ ذاتهما، بل أعمال الشعب التي لا توافق العبادة الحقيقة لله ولا وصايا التوراة.

يسمَّى هذا النصّ عادةً عظةَ الهيكل. تُفهَم العظة هنا بأنّها محاكمة (دينونة) بأسلوب نثريّ. عظة الهيكل هي في الحقيقة ثلاث عظات قصيرة لإرميا، يمكن أن يقسم النصّ كما يلي: مقدّمة (آ ١-٢)، النبوءة الأولى (آ ٣-٧)، النبوءة الثانية (آ ٨-١١)، النبوءة الثالثة (آ ١٢-١٥)[٢]. النبوءتان الأولى والثانية هما متوازيتان؛ ففي كلا النبوءتين هناك قائمة بما يجب العمل به من أجل أن يسكن الشعب في الهيكل/الأرض، كما أنّ كلا الوحدتين تحتويان على فكرة إصلاح لطرق حياة الشعب ورفض الاتكال على كلام الكذب المتناقل بين الشعب. أمّا النبوءة الأخيرة فهي تلخّص موضوع الفصل وتعلن العقاب. كما أنّ هناك في هذه الآيات تكرارًا لكلمات تلعب دورًا مهمًّا في النبوءتين الأوليَين، مثلاً، فعل "الاتّكال"، وكلمات مثل "بيت"، "مكان"، "شيلو".

النبوءات الثلاث كلّها ممكن أن تتلى خلال دقائق قليلة. من الممكن أن يكون إرميا قد تلا واحدة أو اثنتين أو الثلاثة معًا أثناء احتفال في الهيكل سنة ٦٠٩ خلال دقائق قليلة[٣]، من خلالها نرى أنّ إرميا ليس ضدّ تقديم العبادة لله في الهيكل، وإنّما ما يقوله هو أنّ العبادة

(1) Joseph P. HEALEY, "Faith", in *The Anchor Yale Bible Dictionary* (vol. 2, edited by D. N. Freedman, New York: Doubleday, 1996) 747.

(٢) يقسم بعض الكُتّاب الوحدة ٧: ٣-١٢ إلى آ ٣-٤، ٥-٨، ٩-١١ و١٢.

(3) J. R. LUNDBOM, *Jeremiah 1-20: A New Translation with Introduction and Commentary* (New Haven; London: Yale University Press, 2008), 458.

الشكليّة لن تحمي الناس والهيكل من الدمار.

١ – إطار النصّ

تبدأ الوحدة بـ٧: ١ وتختتم بالآية ١٥، وتُعتَبَر تكملة الفصل في آ ١٦–٢٠ وحدة أخرى؛ ففي هذه الآيات الأخيرة تتحوّل الصيغ من الجمع الثاني (مخاطبة بصيغة الجمع) إلى صيغة المتكلّم مع إرميا شخصيًّا (المفرد الثاني). لكنّ آ ١٣–١٥، على الرغم من أنّها تعتبر جزءًا من خطبة الهيكل، إلاّ أنّه من الواضح جدًّا أنّها قد أُضيفت إلى النصّ، كونها تؤكّد أنّ الدمار سيحدث لعدم تجاوب الشعب[٤].

الكلمات الموجّهة إلى الشعب في إر ٧: ١–٧ هي تحذير له، وطلب للتوبة، لكن في آ ٨–١١ يتّهم الربّ السامعين بسبب الأعمال التي يقومون بها، ويذكّرهم بعقاب شيلو في آ ١٣–١٥ كمثال على عقاب الربّ للشعب في الماضي، ويعلن أنّ عقوبة مشابهة ستقع على يهوذا الآن لأنّ الشعب لا يصغي إلى الربّ.

هناك نصّ مشابه في إرميا لهذه العظة، وهو إر ٢٦، حيث أنّ هذين النصّين يتّحدان بالفكرة وبالكلمات. إلاّ أنّ ظروف العظة ونتائجها تُذكر فقط في إر ٢٦. لذلك من الممكن أن يشير الفصلان ٧ و٢٦ إلى المناسبة نفسها؛ فكلمات العظة في إر ٢٦ هي ملخّص لعظة فصل ٧، مع وجود إشارة واضحة إلى **شيلو** (إر ٧: ١٢؛ ٢٦: ٦) التي تعتبر الذروة في كلا النصّين، لكن في الفصل ٢٦ يذكّر إرميا الشعب بالمعبد بشيلو كوسيلة ليغضب الشعب؛ ففي الفصل ٢٦ يحذّر إرميا من تدمير المدينة.

يمكن تلخيص النقاط المهمّة حيث يرتبط النصّان:

١. المقدّمة في ٧: ١–٢ هي معادة مع بعض التغيرات البسيطة في ٢٦: ١–٢.

٢. الكلمات في آ ٣ و٥، "أحسنوا طرقكم وأعمالكم"، تظهر في دفاع إرميا عن نفسه في ٢٦: ١٣.

٣. توراة يهوه في ٢٦: ٤ تظهر كأساس للالتزامات الموضوعة على المصلّين في إر ٧: ٥–٦، أو التي قد انتهكت في ٩[٥].

٤. كلا النصّين ٧: ١–١٥ و٢٦: ٢–٦ هما تحذير لما سيحدث للشعب إذا بقي على حاله.

٥. في كلا العظتين الإصلاح هو الوسيلة لإنقاذهم وإنقاذ الهيكل.

٢ – تفسير النصّ

أ – مقدّمة النصّ ٧: ١–٢

الكَلِمَةُ الَّتي كانَت إِلى إرميا مِن عندِ الرَّبِّ قائلاً: قف **بباب** بيت الربّ، وناد هناك بهذا **الكلام**، فتقول: إسمعوا **كلمة** الربّ يا جميع بني يهوذا الداخلين في هذه **الأبواب** ليسجدوا للربّ.

يأمر الربّ إرميا بأن يقف عند باب بيت الربّ (هيكل أورشليم) حيث تدخل جموع العابدين الآتين من مدن يهوذا كلّها (أنظر أيضًا إر ٢٦: ١١–١٢) ليوجّه إليهم كلمة الربّ. الكلام موجّه بصورة خاصّة إلى يهوذا، فالهيكل بصورة أساسيّة هو مصدر قلق لمملكة يهوذا. المقدّمة متّحدة بكلمات: "باب.. أبواب"، و"الربّ"، و"كلمة".

تظهر المقدّمة أنّ الشعب الداخل إلى الهيكل هدفه العبادة، "ليسجدوا للربّ"، فيدعوهم إرميا إلى سماع ما يقول الربّ. يُعتَقَد أنّ مناسبة الحجّ إلى الهيكل كانت أحد الأعياد الرئيسيّة الثلاثة التي فيها يجب على جميع الذكور أن يأتوا إلى أورشليم؛ فهذه الاحتفالات كانت مناسبات فرح وعيد. إستغلّ إرميا مناسبة قدومهم إلى

(4) W. L. HOLLADAY & P. D. HANSON, *Jeremiah 1: A Commentary on the Book of the Prophet Jeremiah, Chapters 1-25* (Hermeneia - a Critical and Historical Commentary on the Bible. Philadelphia: Fortress Press1986), 236.

(5) J. R. LUNDBOM, *Jeremiah 1-20,* 454.

الهيكل ليوجّه إليهم خطبته التي هي بالحقيقة مجموعة من التهم. لكنّنا نرى أنّ هذه الاتّهامات لم يقبلها الشعب، حيث يقول لنا في إر ٢٦ أنّه، بعد أن فرغ إرميا من الكلام، قبض عليه الكهنة والأنبياء وكلّ الشعب ليقتلوه (إر ٢٦: ٧-٨)، لكنّ الذي أنقذه هو نبوءة النبيّ ميخا قبل حوالى قرن (مي ٣: ١٢)، والذي تنبّأ بخراب الهيكل والمدينة إذا لم يتب الشعب. إستجاب هذا الأخير لكلام ميخا، وخلّص الربّ أورشليم من دمار سنحاريب المحقّق الذي كان قد زحف إلى أورشليم ودمّر مدنًا عدّة في طريقه. تذكّر رؤساء يهوذا وبعض الشيوخ كلام ميخا النبيّ، فخلّصوا إرميا من أيدي الشعب الذي حاول إهلاكهُ.

ب - أصلحوا حياتكم (آ ٣- ٧)

آ ٣-٧ تصحّح اعتقاد الشعب الخاطئ عن الهيكل، والتي هي بالتأكيد واحدة من أغراض عظة إرميا. لكي يستمرّ بنو إسرائيل في السكن في هذا المكان، عليهم أن يتوبوا ويصلحوا طرقهم، أي أن يحفظوا وصاياه ويكونوا أمناء لشريعته. يعني تحديد ما عليهم عمله في هذه الآيات أنّهم لم يكونوا يعملون بهذه الوصايا.

هذه الوحدة توحّدها كلمة "أسكن" (וְאֶשְׁכְּנָה). السكن موضوع أساسيّ للوحدة التي تبدأ بهذا الفعل وتنتهي به (آ ٣ب و٧أ). لا تتكلّم الكلمة שָׁכַן في آ ٣ب عن أمل بل هي إنذار. كما أنّ الأفعال التي تتبع الآية هي جميعها بصيغة الجمع، وهي تحذّر الشعب.

تحريك الكلمة "سكن" والعبارة (بصيغة الجمع) التي تتبع، له عواقب على فهم إطار النصّ ومعناه. في النصّ العبريّ الكلمة محرّكة في الآيتين ٣ و٧ على وزن "فعّل" لتقرأ "لكي أدعك تسكن" (וַאֲשַׁכְּנָה אֶתְכֶם) في آ ٣، أمّا في آ ٧، "أعطي لك لتسكن" (וְשִׁכַּנְתִּי אֶתְכֶם). في نصّ الفولجاتا الفعل في كلا الآيتين هو على وزن "قُل"، والعبارة التي تتبع "معك"، أي أنّ آ ٣ في الفولجاتا تترجم إلى "قد أسكن معك" וַאֲשַׁכְּנָה אֶתְכֶם) أمّا آ ٧ فهي "عند ذلك سأسكن معك" (וְשִׁכַּנְתִּי אֶתְכֶם). W. L. Holladay & P. D. Hanson يقترحان أنّ كِلَيْ القراءتين صحيحتان[٦]، أي أنّه إذا فعل الشعب ما يقوله الربّ، فسيسكن الربّ حينها مع شعبه.

بالنسبة إلى إرميا، المشكلة الأساسيّة في الأمّة هي الفشل في ممارسة العدالة، لهذا يحذّرهم، ولكن في الوقت نفسه، هو يضع نفسه في موقف حرج، إذ كان من الممكن أن يتعرّض للإساءة من قبل المصلّين الداخلين إلى اليهكل. يقول إرميا ثلاثة أشياء مهمّة: الأوّل (آ ٣أ)، يدعو المصلّين في الهيكل إلى "تعديل طرقهم"، أو بعبارة أخرى، كما يقولها إرميا في مكان آخر، عليهم أن يتحوّلوا، أن يتوبوا" (٣: ١٢، ١٤؛ ٤: ١؛ ١٨: ٧-٨)، وتغيير السلوك هذا أمر ضروريّ، إذ بدونه لن يستطيعوا أن يسكنوا في هذا المكان- أي في الأرض. وإذا حدث هذا الإصلاح ستكون هناك نتيجة إيجابيّة لهذا التحوّل (آ ٣ب)، وهو أنّ يهوه سيسمح للشعب بالبقاء في أرضهم ولن (ضمنًا) يُهزَموا من قبل أعدائهم أو يُسبَوا. كما أنّ النبيّ في آ ٤ يحذّر من الأقوال الكاذبة أو الكلمات الخادعة، "هم[٧] هيكل الربّ، هيكل الربّ، هيكل الربّ"،[٨] الذي يفترض (ضمنًا) أنّ حضور الله في

(6) W. L. HOLLADAY & P. D. HANSON, *Jeremiah 1: A Commentary on the Book of the Prophet Jeremiah, chapters 1-25* (Hermeneia- a Critical and Historical Commentary on the Bible. Philadelphia: Fortress Press1986) 237.

(٧) في نهاية آ ٤ هناك كلمة הֵמָּה التي تعني "هم"، أي أنّ الهيكل هو مجموعة من المباني. كما أنّ في ١ أخ ٨: ١١ المكان حيث تابوت العهد هو أيضًا بصورة الجمع. رج:

W. L. HOLLADAY & P. D. HANSON, *Jeremiah 1: A Commentary on the Book of the Prophet Jeremiah, chapters 1-25* (Hermeneia - a Critical and Historical commentary on the Bible. Philadelphia: Fortress Press1986) 241.

(٨) عبارة ثلاثيّة موجودة هنا وفي أش ٦: ٣، "قدّوس، قدّوس، قدّوس"، وإر ٢٢: ٢٩؛ وفي النصّ العبريّ العبارة مكرّرة ثلاث مرّات، بينما في اليونانيّة مكرّرة مرّتين. قد يكون سبب التكرار هو أنّ الكاتب يحاول القول أنّ التكرار هو عبث، فهذا التكرار لن يصون هيكل الربّ.

(9) Anthony L. ASH, *Jeremiah and Lamentations* (Abilene, Texas: A.C.U. Press, 1987), 91. Else Kragelund HOLT, "Jeremiah's Temple Sermon and the Deuteronomists", 73- 87.

الهيكل يعني سلامة اليهوديّة من أعدائها. يريد إرميا أن يثق الشعب بالله بدلاً من ثقته بالكلمات المتناقلة عن قوّة الهيكل السحريّة.

الخلاص من سنحاريب والأشوريّين في ٧٠١ (ق. م.) ساهم في الاعتقاد بأنّ أورشليم ستبقى مصونة ما دام الهيكل قائمًا، لأنّ الله نفسه يُحافظ على سلامة الشعب وأمنه. يشير Anthony L. Ash إلى أنّ "إصلاحات يوشيّا (مهما كانت سطحيّة) قد ركّزت الانتباه على الهيكل، وعلى ما يبدو أنّ يوشيا هو الذي خلق الوهم بأنّ الله لن يترك هيكله ليدمّر"[٩]. وهكذا ما كان لاهوتًا مهمًّا منذ إصلاح يوشيّا، أصبح وسيلة انتهاك للشريعة، حيث كان هناك اعتقاد بأنّ تقديم الذبائح في الهيكل كان من شأنه أن يعوّض عن انتهاك الشريعة (٧: ٩)، وبالتالي يضمن حماية الله للشعب ما داموا يحجّون إلى الهيكل (٧: ١٠). في ظلّ كلّ ما سبق يعلن إرميا كلمة الربّ بأنّه سيفعل بهيكل أورشليم كما فعل مع نظيره في شيلو، أي تدميره.

إذًا الادّعاء بأنّ الهيكل سيوفّر الحماية للساكنين خاطئ، لأنّ ما سيحمي الشعب هو أعمالهم تجاه الله والقريب، والتوبة والإصلاح سيعطيان لهم الفرصة للبقاء في أرضهم وهيكلهم. والمفارقة المهمّة هي أنّ ما كان يعتمد عليه الشعب لحفظهم وسلامهم يعلنهُ إرميا على أنّه السبب الرئيسيّ والمسؤول عن الكارثة التي ستقع عليهم، أي دمار الهيكل والسبي.

آ ٥–٧ من هذا الفصل توسّع ما قيل في آ ٣، أي أنّها تفسّر كيف يتوجّب عليهم أن يصلحوا أنفسهم. يجب ملاحظة الجمل الشرطيّة التي تكشف عن نمط حياة الإيمان الصحيح: آ ٥ و٦ هما شرطيّتان حيث تحتوي على **אִם**. تحتوي هاتان الآيتان على شروط: "إذا أصلحتُم طُرُقَكم...؛ إذا أَجرَيتُمُ الحُكمَ...؛ وإن لم تظلموا اليتيم...؛ ولم يسفكوا الدم؛ ولم يسيروا وراء آلهة أُخْرى..."؛ فإذا تحقّقت هذه الشروط، سيُسكن الربُّ الشعبَ في الأرض التي أعطاها لآبائِهم مِن الأزلِ إِلى الأَبَد" (آ ٧). المطلوب من الشعب هو الآتي:

١. ممارسة العدالة بين الإنسان وقريبه (٧: ٥).

٢. عدم ممارسة الظلم أو استغلال الأضعف (٧: ٦): الغريب واليتيم والأرملة (الكلمات الثلاث هي معروفة من خر ٢٢: ٢١).

٣. عدم سفك دماء الأبرياء (٧: ٦). ممكن أن يعني سفكُ الدماءِ سوءَ معاملة الشعب العامل حيث يتّهم النبيّ ميخا (٣: ١٠) رؤساءَ الشعب بأنّهم يَبْنونَ صِهْيونَ بِالدِّماء وأُورَشَليمَ بِالظُّلْم. أو من الممكن أن يعني التلاعب في الإجراءات القانونيّة (رج رواية نابوت اليزراعيلي في ١ مل ٢١)، أو أيًّا من الممارسات الخاطئة الأخرى التي تتميّز بالعنف وإنكار العدالة المطلوبة والمؤكّد عليها في التوراة.

٤. عدم السير وراء آلهة أخرى (إر ٧ : ٦) تمثّل الخيانة الكبرى ليهوه، أي إنكار أولى الوصايا العشر والـ"شْمَعْ يِسْرَئِلْ"، التي هي إحدى النقاط المهمّة بالنسبة إلى اللاهوت التثنويّ.

يدعو النبّي الشعب إلى أن يكونوا أمناء للعهد، أي أن يصلحوا طرقهم بتحقيق العدالة التي هي الشرط الأساسيّ والأوّل للبقاء والسكن في أرضهم؛ فوجود الهيكل لن يحمي المدينة[١٠]. الشرط الثاني هو عدم اتّباع آلهة أخرى، أي أنّه يدعوهم إلى الولاء الكامل لله. كلّ الخطايا التي يرتكبها يقوم بها الشعب كانت نتيجة لتركهم العهد ورفضهم لله.

ج – العصيان ورفض كلمة الله (٧: ٨–١١)

الوحدة في آ ٨–١٠ مرتبطة بعناصر مهمّة: הִנֵּה التي تبدأ به الوحدة وتنتهي به (آ ٨ و١١) ويتبع הִנֵּה الضمير

(١٠) كان الهيكل يعطي للشعب إحساسًا بالأمان واليقين بأنّ الله أرشد سليمان لبنائه كمكان لسكناه، واختار أورشليم مدينة له، لذلك هو لن يسمح بأن يهدم حيث صنع عهدًا مع شعبه المختار.

(١١) "أنا هو الربّ إلهك، لا يكن لك إله غيري. لا تحلف باسم الله بالباطل. إحفظ يوم الربّ لتقدّسه. أكرم أباك وأمّك. لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد شهادة زور. لا تشته امرأة غيرك. لا تشته مقتنى غيرك" (خر ٢٠ وتث ٥).

الفاعل (في آ ٨ אַתֶּם، أمّا في آ ١١ فالضمير هو אֲנִכִי كما أنّ كلّ آ ٩ – ١٠ و ١١ تبدأ بأداة استفهام הֲ، ثمّ تعبير عن عمل سيّء تتبعه عبارة عن بيت الله، "البيت الذي دعي باسمي".

كذلك، كما فسّرت آ ٤–٧ قصد الكاتب في آ ٣، كذلك آ ٨–١٠ توسّع ما قيل في آ ٤: الشعبُ متكلٌ على قول الكذب بأنّ الهيكل سينقذهم، "إنّنا لمنقذون"، لأنّ هيكل الله موجود بالرغم من خطيئتهم.

في هذا المقطع هناك خمس وصايا من عشرة في صميم العهد الموسويّ يتجاهلها الشعب (آ ١، ٢، ٦، ٧، ٨، ٩)[١١]، ويعرضها الكاتب على شكل سؤال: "أَتسرِقونَ وتَقتُلون وتَزْنونَ وتَحلِفونَ بالزُّورِ وتُحرِقونَ البَخورَ لِلبَعلِ وتَسيرونَ وَراءَ آلِهَةٍ...؟". التهمة الأخيرة هي أخطر مخالفة (أنظر أيضًا ٢: ٨؛ ١٦: ١١؛ ١٨: ١٥؛ تث ٣٢: ١٦–١٧؛ هو ٤: ٢)، إذ إنّها تمثّل الخيانة الأساسيّة ليهوه، التي تلزم يهوذا بالتراجع عن إيذاء الآخرين. بدلاً من أن يقفوا أمام الربّ بخشوع ورهبة، هم يقفون أمامه وقد كسروا وصاياه. هذه الخطايا هي مشابهة للتي في آ ٤–٧ المسمّاة بطريقة أخرى. يعتبر إرميا أنّ كلّ ذنوب الشعب هي ذنوب بحقّ الله لأنّهم تخلّوا عنه (٢: ١٣–١٩؛ ١٦: ١١؛ ١٧: ١٣؛ ١٩: ٤؛ ٢ مل ٢٢: ١٧)[١٢].

كان الشعب على ثقة بأنّه بأمان ما دام يحجّ إلى الهيكل، ويقوم بخدمته الهيكل، والربّ سيتغاضى عن خطاياه، ولن يتخلّى عن مكانه، ولن يسمح لأيدي مدنّسة من الاقتراب منه (إر ٣٩: ١٧). إلاّ أنّ إرميا يعلن أنّ هذا الكلام كذب، فحضور يهوه في الهيكل لا يعني خلاص أورشليم من أعدائها، وتجاهلهم لالتزاماتهم بالعهد يجعل جميع الصلوات الخلاصيّة التي يتلونها في العبادة عديمة الفائدة (٧: ٨–١٠). إنّ ما يطلبهُ الربّ هو أمانة الشعب له وحفظ وصاياه والعمل بها؛ فإرميا ينتقد الشعب بسبب فصل نفسه عن الأبعاد الأخلاقيّة والروحيّة التي كانت جزءًا من وصايا الربّ. لم تكن هديّة الله للشعب (الأرض، الهيكل، الملك)، المشار إليها ضمنيًّا هنا، مجّانية؛ فمطلب الله الذي يقابلها هو الالتزام بأوامره وطاعته، وإلاّ تعرّضت الهبة للخطر. لا قيمة للأماكن والرموز المقدّسة في عيني الربّ عندما لا يكون قلب الشعب مع إلهه. لذلك ينتقد إرميا الممارسات الفاسدة التي يقوم بها الشعب، والتي لا تعبّر عن إيمانه وطاعته.

اعتقد الشعب أنّ الأعمال الدينيّة (العبادة) ستجلب الخلاص (أي لا هزيمة من الأعداء ولا منفى من قبل البابليّين، فيقولون: "إنّنا منقذون"، لأنّ ثقتهم هي في الهيكل، إذ إنّ الله حاضر فيه. لكنّ النبيّ يقول أنّ هذا الكلام لا فائدة منه؛ فالأعمال التي يقوم بها الشعب تجعل من الهيكل الذي يحمل اسم الله وكرَ اللصوص، لأنّ كلّ من يقوم بهذه الأعمال هو لصّ، وبقدومه إلى الهيكل يجعل منه بيتًا لاحتماء اللصوص.

د – إعلان لدينونة الله (٧: ١٢–١٥)

يلخّص هذا الجزءُ موضوع العظة، ويعيد بعض الأفكار من العظات السابقة، ويعلن الحكم. تستخدم آ ١٢ كلمة "المكان": و"دع... يسكن" من الجزء السابق و"اسمي"، بالإضافة إلى أنّ آ ١٣ تلخّص الموضوع السابق للفصل من أعمال الشعب وعدم الطاعة، وإلى أنّ عبارة "أسكنت اسمي" (آ ١٤) تعكس العبارة في آ ١٠ و ١١، والعبارة "متّكلون عليه" في آ ١٤ تذكّر السامع بالآيتَين ٤ و٨. كما أنّ العبارة "عملت كلّ هذا" في ١٣ في أفعال معيّنة في آ ١٤ من الممكن أن توازي المقصود في "طرقكم وأعمالكم" في الآيتين ٥ و٦. أخيرًا الإشارة إلى "البيت" و"المكان" في آ ١٤ تعكس الإشارة إلى الهيكل (آ ٣–٤) والأرض (آ ٥–٨)، كما وتوازي شيلو وإفرائيم مع شيلو وإسرائيل في آ ١٢.

(١٢) أوامر مكسورة أخرى في إرميا هي تلك المتعلّقة بعبادة الأصنام (١٠: ١٤)، والسبت (١٧: ١٩–٢٧)، واشتهاء زوجة الجار (٥: ٨)، وعدم ممارسة العدل والإحسان إلى الفقراء (٢: ٣٤؛ ٥: ٢٨؛ ٧: ٥–٧). وجّهت هذه التهم الأخيرة ضدّ ملوك يهوذا أيضًا، مثل يهوياقيم (٢١: ١٢؛ ٢٢: ١٥–١٧)، حتّى أنّ الأنبياء مذنبون بارتكاب جريمة الزنا والكذب (٢٣: ١٤؛ ٢٩: ٢٣).

في آ ١٢ يعطي إرميا مثالاً من الماضي فيقول: "إذهبوا... وانظروا مكاني في شيلو، الذي **أسكنت اسمي** فيه أوّلاً، وانظروا ما صنعت به بسبب شرّ شعبي إسرائيل". كانت شيلو مكانًا مقدّسًا لوجود التابوت فيها حيث أسكن الربّ اسمه، أي حيث كان حضورًا[١٣]. يقول الربّ على لسان إرميا هنا أنّ المسكن دمّر بسبب شرّ الشعب، على الرغم من أنّ الربّ سكن فيه، لكنّ دماره كان عقابًا للشعب.

تبدأ آ ١٣ بكلمة "حتّى الآن" (וְעַתָּה)،تتبعها كلمة "بسبب" (יַעַן)، فتظهر الآيات اللاحقة كتلخيص للآيات السابقة في أربعة أفعال متوازية (كَلَّمتُكم–لم تَسمَعوا، دَعَوتُكم–لم تُجيبوا)، ثمّ يعلن نتيجة عدم طاعة التوراة. بما أنّ الشعب يعمل ما ترفضه التوراة ولم يسمعوا لكلام الربّ ولم يستجيبوا إلى دعوته (٧: ١٣)، يعلن النبيّ أنّ الربّ سيصنع بالهيكل الذي هم متّكلون عليه وبأورشليم ما صنع في شيلو. هذه الإشارة إلى شيلو تؤكّد للسامعين أنّ لاهوت العهد والحماية غير المشروطة من قبل الله لم يكن صحيحًا. وبعبارة أخرى، حتّى المعبد في شيلو، المكان الذي ظلّ لعدّة عصور مكانًا للتابوت، قد دُمِّر، وذلك كنوع من العقاب؛ لذلك ليس هناك أيّ سبب للاعتقاد بأنّ هيكل أورشليم سيكون بمنأى عن الخطر. الله لم يدمّر شيلو فقط، بل نبذ من وجهه أفرائيم. لذلك سيحلّ عقاب مشابه بأورشليم (٧: ١٤ و٢٦: ٦). إنّ خراب الهيكل والنفي هما لمعاقبة الشعب على خطاياهم. هذا العقاب ليس فجائيًّا؛ فقد كلّم الله شعبه، لكنّهم رفضوا السماع والاستجابة له. كما أنّ الله لن يكتفي بالتدمير، بل سينبذهم من وجهه كما نبذ إخوتهم جميعًا، كلّ ذرية أفرائيم (إر ٧: ١٥). لذلك، مثلما نفى الله المملكة الشماليّة (بني أفرائيم)، هكذا سيكون مصير المملكة الجنوبيّة.

لا يحاول النبيّ إزالة الشعور بالأمان بجانب الهيكل، لكن ما يحاول فعله هو إقناع سامعيه بأنّ الشعب سُيعاقَب على أخطائه إن لم يعُدْ إلى طريق الله. بالمقابل، من وجهة نظر إرميا، خراب الهيكل كان العقوبة اللازمة والطبيعيّة لتخلّي الشعب عن التوراة (التي هي العهد بين الله وشعبه)، وبالتالي تخلّي الله بدوره عن الشعب[١٤]، وهذا العقاب سيمنعهم من لقائه في الهيكل؛ فالشعب حوّل الإيمان إلى مكان وطقوس بدلاً من علاقة وإيمان يوميَّين.

تؤكّد عظة الهيكل على أنّ السكن في أرض الميعاد والاستمرار بوجود الهيكل يتوقّفان على طاعة العهد، وإلاّ كاد الشعب أن يخسر الاثنين، الأرض والهيكل (٧: ١–١٥؛ ٢٦: ١–٦). كان بين أهل أورشليم عدد غير قليل من الأنبياء والكهنة الذين وسّعوا لاهوت صهيون إلى درجة أنّ العهد لداود أصبح أبديًّا وغيرَ مشروط (٢ صم ٧)، وأيضًا أورشليم والهيكل (مز ١٣٢: ١١–١٨؛ أش ٣١: ٤–٥؛ ٣٧: ٣٣–٣٥)، وهذا يمنع تدميرهما. تحقّقت نبوءات إرميا، وقام نبوخذنصّر بحصار أورشليم واحتلال مملكة يهوذا (٥٨٩ و٥٨٦ ق. م.)، وتدمير المدينة والهيكل، وقتل الكثيرين، ونفي آخَرين إلى بابل.

الخاتمة

تفسير هذه النصّ على أنّه انفعاليّة ضدّ العبادة في الهيكل هو سوء فهم كامل للنصّ. لا يدين النبيُّ الهيكلَ، أو الكهنة، أو الطقوس، أي أنّ هدف العظة ليس مكافحة الطقوس، بل على العكس تمامًا؛ فنبوءة الهيكل توقّر هيكل الربّ (٧: ١١)، وما يرفضهُ الله هو جعل هذه الأشياء "المقدّسة" مجرّد صيغ. التهمة موجّهة

(١٣) تقع شيلو على بعد ثلاثين كيلومترًا شمال أورشليم، وكان المكان الذي أقام فيه تابوت العهد في فترة من قبل النظام الملكيّ (قض ٢١: ١٩؛ ١ صم ٣: ٣). على الأكثر دمّرت شيلو من قبل الفلسطينيّين في ١٠٥٠ ق. م. "إر ٢٦: ٦؛ مز ٧٨: ٦٠). لكنّ النصّ في ١ صم ٤ لا يصف مثل هذا الدمار الذي يتكلّم عنه إرميا في ٧: ١٢؛ فصموئيل الأوّل يصف الاستيلاء على تابوت العهد خلال معركة في أفيق على غرب السهل الساحليّ من شيلو، غير أنّ التابوت لم يرجع إلى شيلو، بل حُفِظَ في قرية يعاريم حتّى نُقِلَ إلى أورشليم.

(١٤) على الرغم من أنّ الشعب حافظ على خدمات العبادة للربّ، إلاّ أنّه أيضًا عبد بعل إيزابل، **وملكة السموات** التي تعبدها مصر، وآخرون أدّوا إكرامًا لمولك إله النار (إر ٧: ١٨، ٣١).

ضدّ الفصل بين عبادة الهيكل والحياة اليوميّة للشعب. في غياب طاعة التوراة، لا يمكن للهيكل أن يضمن حمايةَ الشعب (أي أنّ الله لن يتوقّف عن تدمير الهيكل لأنّ الشعب ينادي به ويعتبره المكان الأرضيّ لسكنى الربّ)، وهو بالتالي لا يضمن الحماية ضدّ عقاب الله من الانتكاسات الأخلاقيّة ولا من التهديدات الخارجيّة.

فالهيكل ليس ضمانًا لخلاص المدينة، لأنّ ما يجري في الهيكل وبين الشعب يقود إلى الهلاك. كما يشير إرميا في نصوص أخرى إلى أنّ الدعوة إلى الختان (٤: ٤)، والاتّكال على تابوت العهد (٣: ١٦)، وتقديم الذبائح (٧: ٢١– ٢٦)، وتبجيل شريعة الربّ (٨: ٨)، ليست كافية لمنع الخطر أو المعاقبة.

عندما لا تقترن طقوس العبادة بالإيمان المناسب والسلوك الأخلاقيّ، تظهر العبادة فارغة وشكليّة، وبالتالي يرفضها لله. يؤكّد إرميا على أنّ الضرورة الأساسيّة لتوبة القلب هي في فعل الأشياء المطلوبة– طاعة الشريعة، وذلك لأنّ القيام بهذه الأشياء من دون قلب مستقيم هو عصيان أو ارتداد عن الله وعدم الإخلاص له. تعكس رسالة إرميا النبويّة افتراض التثنويّ بأنّ الإخلاص يتمثّل في الاعتراف بالوصايا وبحفظها. لذلك يجب فهم خطبة الهيكل (إر ٧: ١–١٥) في سياق تلك الأزمة. تمثّل الخطبة انطلاقة جديدة في رسالة إرميا، وتحدّيًا مباشرًا لمفهوم كان سائدًا في زمن النبيّ.

المراجع

ASH Anthony L., *Jeremiah and Lamentations*, Abilene, Texas: A.C.U. Press, 1987.

HEALEY Joseph P., "Faith", pages 744- 749, in *The Anchor Yale Bible Dictionary*, Vol. 2, edited by D. N. Freedman, New York: Doubleday, 1996.

HOLLADAY W. L., & HANSON P. D., *Jeremiah 1: A Commentary on the Book of the Prophet Jeremiah, chapters 1-25*, Hermeneia-a Critical and Historical Commentary on the Bible. Philadelphia: Fortress Press, 1986.

HOLT Else Kragelund, "Jeremiah's Temple Sermon and the Deuteronomists: an Investigation of the Redactional Relationship between Jeremiah 7 and 26"، *JSTO* 36 (1986) 73–87.

LUNDBOM Jack R., "Book of Jeremiah", pages 706-721, in *The Anchor Yale Bible Dictionary*, Vol. 3, edited by D. N. Freedman, New York: Doubleday, 1996.

_____, J. R., *Jeremiah 1-20: A New Translation with Introduction and Commentary*, New Haven, London Yale University Press, 2008.

ZEVIT Z., "The Prophet versus Priest Antagonism Hypothesis: Its History and Origin", in *The Priests in the Prophets: The Portrayal of Priests, Prophets and other Religious Specialists in the Latter Prophets*, Eds. L. L. Graabe and A. O. Bellis (London: T. & T. Clark، 2004) 189–217.